الخَاتمَة

وتشتمل على:

١- وتتضمن أهم نتائج البحث.

٢- وتوصيات للقراء والباحثين.

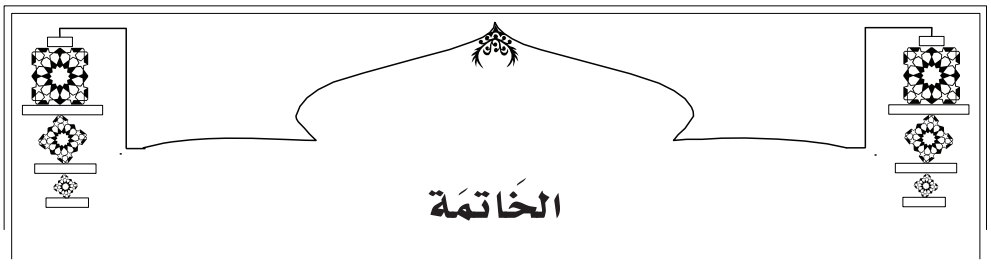

الخَاتمَة

خلاصة البحث

الحمد لله الذي بفضله، وكرمه تتم الصالحات، فالقلب يُقِرُّ بفضل الله وتوفيقه على إتمام هذا العمل، وقد حاولت في هذا البحث أن أوضح جانبًا من جهود المستشرقين في رحلاتهم إلى الأماكن المقدسة، بإلقاء الضوء على رحلة «إلدون رتر» إلى الحرمين الشريفين ومدينتهما المقدستين، وعلى احتكاكه بأهالي المدينتين، وأدائه عبادات المسلمين، وتعايشه معهم، للتعرف على طبيعة هذا الأسلوب الاستشراقي وما يحمل في طياته من إيجابيات وسلبيات، ودراسة خلفية وأبعاد هذه الرحلة التي قد تتخذ شكلًا متجددًا في عصرنا الحالي.

وقد تناول هذا البحث التعريف بالمستشرق «إلدون رتر» وكتابه، وصلتهما بالدراسات الاستشراقية، ثم التعريف بمفهوم «الرحلة» ودلالاتها، بعد ذلك تم توضيح نبذة في نشأة وتاريخ الرحلات الغربية لمكة المكرمة، والمدينة المنورة، كما تم توضيح طبيعة الرحلة والأهداف العامة للرحالة الغربيين.

كما تضمن البحث الإطار الوصفي للمدينتين المقدستين المتعلق برحلة المستشرق «إلدون رتر»، والذي اشتمل على ذكر طبيعة الفترة التاريخية للمدينتين زمن الرحلة، وإبراز المكانة الدينية والتاريخية للمدينتين.

كذلك تناول البحث الجوانب التحليلية لرحلة المستشرق «إلدون رتر» متمثلة في أهداف المستشرق «إلدون رتر» من رحلته، والمصادر المعرفية للمستشرق في رحلته وكذا سمات وصفه وأساليبه في رحلته.

ثم أعقب البحث موجزًا لسير الرحلة الاستشراقية وما مرت به من مواقع، متناولًا المدن والقرى التي مَرَّ بها المستشرق «إلدون رتر» في رحلته إلى مكة المكرمة وكذا في رحلته إلى المدينة المنورة، ثم عرض وصفه للمعالم البارزة في مكة المكرمة وما حولها، والمدينة المنورة وما حولها.

واختتمت مباحث البحث بتقييم رحلة المستشرق «إلدون رتر» وتقدير قيمتها العلمية، والذي شمل إبراز أثر الخلفية الاستشراقية لـ «إلدون رتر» على وصفه، ومدى تجرده وموضوعيته فيما تناوله في رحلته، بعد ذلك تناول البحث بعض المؤاخذات المنهجية والعلمية على المستشرق، ثم عرض أهمية رحلة المستشرق «إلدون رتر» وما تشكله من إضافة معرفية.

وها هو البحث قد شارف على نهايته، ووصل غايته باستخلاص أهم نتائجه، وهي كما يلي:

١- أن للرحلات دور كبير في وصل جسور الشرق بالغرب، وما لذلك من تنمية التواصل الحضاري مع العالم الغربي والإثراء المعرفي الذي يساعد على مد جسور التقارب مع ما أنتجته الجهود الغربية تجاه الشرق التي تساعد على فتح باب الحوار مع الغرب، للتعرف على الآخر، وإيضاح ما يشوب النظرة الصحيحة والحقائق الثابتة من لَبْس وخلل.

٢- دور الرحلات الغربية الاستكشافية في تقديم المعلومات الجغرافية اللازمة عن البلدان الشرقية، والتعريف بهذه البلاد وشعوبها

على المستويات السياسية والاقتصادية والدينية والفكرية، ونشر صورة ذاتية يقدم بها صاحب الرحلة رؤيته للذهنية العالمية لمكان محدد في زمن محدد.

٣- امتازت المدينتان المقدستان مكة المكرمة والمدينة المنورة بجاذبية تلقفت بها القلوب والأرواح، نظرًا لهيبتهما ومكانتهما العظيمة، وبأنهما منطلق الثقافة والعلم لذا كان لأهلها أوفر الوصف في قول رتر: (إن المكيين -وإن كادوا يكونون مجتمعًا مستنيرًا- فهم أحسن تعلمًا من المصريين في العلوم الدينية، بل في علوم أخرى كالجغرافيا والتاريخ، ما عدا أولئك المصريين الذين درسوا في الأزهر من ناحية، أو في المدارس الثانوية من ناحية أخرى. ينشغل المكيون بهذه الأمور ثمانية أشهر أو تسعة في السنة...)[١].

٤- اهتمام الاستشراق الغربي بإرسال الرحلات إلى الحج وزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومتابعة المدينتين زمنًا يتلو الآخر، وتعقب الأحداث والمتغيرات على هاتين المدينتين بالخصوص، وأيضًا تفانيهم في محاكاة المسلمين؛ للتعايش مع المسلمين والتكيف مع الظروف والأحوال التي تُفرض على الرحّالة مما لم يعتاده.

٥- أن الغرب يحاولون الوصول للإسلام بشتى الطرق ومن كل منفذ، ويعتبر التسلل إلى بلاد المسلمين أسلوبًا من أساليب بعض المستشرقين الذين استخدموا الوسائل الملتوية لدخول البلاد الإسلامية وبخاصة الدخول إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة[٢]

---

(١) (مدينتا الجزيرة العربية المقدستان) (٢/ ٤٤٨).

(٢) رحلة ريتشارد بيرتون إلى مكة والمدينة بين الاستكشاف والتجسس، ص٣٥.

باستغلال سواسية المسلمين في فترة أدائهم لمناسك الحج، بالتوغل بين الحجاج متنكرين مدّعين الانتساب الى الإسلام، حيث كان هذا المنفذ لعدد من الرحالة المستشرقين.

٦- بالرجوع إلى تاريخ الاستشراق ندرك أن المستشرق ابن بيئته، لذا كان جانب شريعة الإسلام وما تضمنته مثارًا للفت نظر المستشرق ليحاول دحضها أو التشكيك بها[١]، أو أن يحاول تلقيها ارتقاء بنفسه[٢]، فقد سعى المستشرقون للعمل ضد الإسلام، ومن ذلك محاولتهم تتبع المسلمين والتجسس عليهم؛ لتصيد هفواتهم في مجتمعاتهم، سعيًا لتشويه صورة الإسلام.

٧- قوة إعداد المستشرق لدخوله الأماكن المقدسة بدون إثارة الشكوك حول إسلامه أو استشراقه، وقد سمّى نذير حمدان هذا النوع من العمل الاستشراقي المستغل للإسلام بالإسلام المصلحي أو الإسلامي السياسي[٣]، مما يدل على دأب كثير من المستشرقين وصولًا لمبتغاهم.

٨- يترجح اندراج عمل رتر الاستكشافي ورحلاته للعديد من البلدان الشرقية داخل دائرة العمل الاستخباراتي، فهو رحالة مستشرق ظهر ارتباطه لخدمة مصالح بلاده الاستكشافية نظرًا لعمله العسكري

---

(١) فقد وضع كبار المستشرقين أنفسهم في خدمة الكنيسة وأغراضها جنبًا إلى خدمتهم حكوماتهم الاحتلالية، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ص٣٧ بتصرف يسير.

(٢) (لم يروا وجهًا للمجابهة أقوى من الاهتمام الجدي بهذه الحضارة سعيًا إلى الاستفادة منها أو إلى هدمها والتأثير السلبي عليها...). الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٢٧.

(٣) مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون، ص٣٥.

جنبًا إلى جهوده الاستشراقية[١]، إضافة إلى تنكره ثم اختفاء أثره آخر حياته كما هو حال أغلب الجواسيس.

٩- البحث في مثل هذه الرحلات على ما يعرضه الرحالة من وصفٍ للآثار الإسلامية التي طالتها الإزالة أو التطوير، وما يعرضه من عادات أهل المدينتين وتقاليدهم وبيعهم وشرائهم ودروسهم ومناسباتهم وحديثهم، وكل ذلك يشكل مادة ثرية عن الحياة الاجتماعية، كما تشكل الرحلات أهمية كبرى لأماكن ومواقع غابت أو تبدلت أسماؤها الآن.

كما يُسفر هذا البحث عن بعض التوصيات للقراء والباحثين والمسؤولين، منها:

١- أن تهتم الجهات والمراكز البحثية المختصة بالتاريخ الحضاري والآثار بما ذكر رتر عن آثار المدينتين المقدستين، خاصة وأن البلاد مقبلة على عهد يهتم بالآثار أكثر من السابق ومعلومات رتر مهمة ونادرة.

٢- ضرورة متابعة رحلات المستشرقين وخاصة ما يكون منها متصلًا بالحرمين المقدسين، بالترجمة والتقييم، والتحري والتحقيق، ومن ذلك: تهذيب مواضع الخلط في كتاباتهم للأمور الدينية، ومعرفة أساليب المستشرقين في الطعن في الدين، والتنبه لذلك، وتصحيح ما تتضمنه كتاباتهم من أخطاء، وتوضيح ما فيها من لَبس.

٣- معالجة الظواهر الاجتماعية السلبية التي تسود المجتمع، مما يعكس صورة غير مقبولة عن الإسلام وأهله، وفي المقابل إبراز الجوانب الإيجابية واستثمارها.

---

(١) رحلة ريتشارد بيرتون إلى مكة والمدينة بين الاستكشاف والتجسس، ص١٦.

٤- نشر المصادر التي تتناول ما يخص التراث الإسلامي وحضارته، وكل ما يتصل بالإسلام بالصورة القويمة المعتدلة باللغات الاجنبية بصورة واضحة، خاصة ما يتعلق بالمقدسات الإسلامية، حتى لا يكون ذلك حكرًا على المستشرقين في اللغات الأجنبية.

٥- حث أرباب التربية والتعليم والإعلام الهادف إلى ضرورة تضمين الخطط التربوية والمناهج الدراسية والبرامج الإعلامية توضيحًا لرؤية الغرب وسعيه الحثيث الذي لا يفتأ نحو الإسلام وكل ما يتصل به، وكذا توعية الأفراد بالمخاطر والشبه التي تثار من المستشرقين حول الدين والتاريخ عن طريق المتخصصين لتوضيح ذلك.

٦- السعي للتواصل مع المستشرقين لمحاولة تعزيز سُبل الحوار الذي تتم به الدعوة بالتي هي أحسن إلى سبيل الله الحكيم، عن طريق المؤتمرات أو السيمنارات والندوات التي تقيمها الجامعات، وإتاحة حضور ذلك للمتخصصين من دارسي وخرجيّ القسم ليُعزز جوانب تخصصهم ويثمر تعليمهم ويقوّي ممارستهم الفعلية.

٧- أن تتكفل جهة علمية لها تقديرها الاجتماعي والرسمي بهذه التوصيات بعد أن تقتنع بها، ثم تخاطب كل جهة معنية بهذه التوصيات بما يخصها مما انتهى إليه البحث من نتائج وتوصيات، حتى يُزهر هذا الجهد النظري واقعًا علميًا مثمرًا إن شاء الله.

٨- ضرورة أن تضمن أعمال المترجمين التنويه والإشارة لما يرد في مثل هذه الرحلات الاستشراقية من بعض الأمور التي لا أصل لها بل هي من قَبيل الإشاعات والأقاويل وذلك لأن المستشرق يلتقي في رحلته بالأهالي فينقل كل ما يسمع، بالإضافة إلى بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالشريعة الإسلامية التي يقتبسها المستشرق من عموم

الناس مما قد يكون ضعيفًا أو لا أصل له أو مما قد يحتمل أكثر من قول، فيتطلب توضيح الراجح فيها وبيان القوي والصحيح من غيره، والتنبيه على مثل ذلك مما لا يُعَبِّر عن حقيقة المسلمين اجتماعيًا ولا حقيقة الإسلام؛ وذلك لأن القارئ البسيط تُشكل عليه بعض هذه الأمور مما قد يتسبب في نشوء المفاهيم الخاطئة.

وفي نهاية البحث لا أدّعي أني قد وفيت الموضوع حقّه من جميع جوانبه في هذا الجهد المتواضع، ولكن حسبي أنني بذَلت قُصارى جهدي، ولم أدّخر في سبيل ذلك وسعًا، وإني لأرْجو أن يُسهم هذا البحث في توضيح بعض الأساليب التي يَقُوم بها المستشرقون في تعاملهم مع ما يتصل بالإسلام، فإن أحسنتُ فمن توفيق الله سبحانه، وإن أخفقتُ فمني ومن الشيطان.

وإني لأرْجو من الله تعالى أن يجعل هذا الجهد متقبلًا ومباركًا ونافعًا وشافعًا، والله تعالى هو الموفِّق والهادي إلى سَواء السبيل، وإنه نِعْم المولى ونِعْمَ النّصير.

وختامي دعاءٌ أن يَغفر الله لي وللمسلمين، والحمْد لله رب العالمين، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تَبعهم وسَار على نهجِهم القَويم إلى يوم الدِّين.

تَمَّ بِحَمْدِ اللّهِ وَتَوفِيْقِه